المظاهرات الوطنية
بقلم
كاظم الدجيلي

***الكاتب:**

هو الشيخ كاظم الدجيلي المولود في قرية الدجيل سنة ١٨٨٤م. وقد هاجر والده بعد ستة اشهر من ولادته الى بغداد فاستوطن جانب الكرخ من بغداد وفيها نشأ الشيخ كاظم، وتلقى معارفه وعلومه.

إشتغل قبل الحرب العالمية الاولى في تحرير بعض الجرائد البغدادية ثم انقطع الى إدارة مجلة لغة العرب والكتابة فيها حتى إحتجابها بسبب تلك الحرب.

أجاد الدجيلي من اللغات الاجنبية الانكليزية والروسية وطرفا من الفارسية والتركية، وكانت له معرفة تامة بقراءة المخطوطات العربية بمجرد رؤية خطوطها وورقها.

دخل الاستاذ كاظم الدجيلي مدرسة الحقوق عام ١٩٢٠ وتخرج فيها بعد اكماله الدروس القانونية.

ألف الدجيلي العديد من الكتب والرسائل لم يتسن له طبع واحد منها في حياته، وكان قد نشر بعض فصول تلك الكتب في مجلة (لغة العرب) التي أصدرها الأب أنستاس ماري الكرملي.

توفي الدجيلي في فيينا التي كان يعمل قنصلاً فيها بتاريخ ٢٣/ آذار سنة ١٩٧٠.

*** تنويه: نعيد هنا نشر الرسالة التي كتبها الاستاذ(كاظم الدجيلي) عن الوقائع الأولى لثورة العشرين بناء على طلب الأب أنستاس ماري الكرملي). وقد سبق لهذه الرسالة أن نُشرت في كتيب أعده الاستاذ (حكمت رحماني) وصدر في سنة ١٩٧٣.**

●المظاهـرات الوطنيـة او الاضطرابـات البغدادية

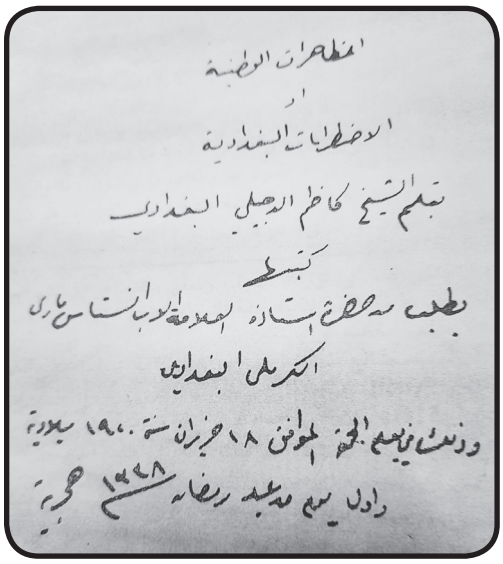

•الصفحة الاولى من مخطوطة رسالة ثورة العشرين

(التمهيد للثورة)

لم تكـن الحركة الوطنية اول حركة في سـبيل الدفاع عـن الاسـتقلال العراقي بـل تقدمتها كثير من الامور[١]، التي دلت على ان العراقي لا يريد ان يخنع[٢]، لغير ابن جلدته ولغته، ولكن تلك الامـور كلها لم تخرج عـن حيز التحمس الداخـلي الذي ظل كامنا في الصـدور حتى اذا ضاقت به تلك الصدور ذرعا انبثق مرة واحدة واندفـع اصحابه في تياره طوعا وكرها فتجلت تلـك القوة الكامنة بأجـلى مظاهرها واظهرت لمناوئيهـا انها غير ما يفتكرون فيها وعكس ما يظنون بها وخلاف ما يزعمون عنها.

كانـت اول الحركـة اجتماعـات دينيـة عادية والذي أفتى بها هو السـيد صالح الروضخون (قـارىء تعزية الحسـين) الحـلي[٣] وذلك انه رقـي المنبر في الكاظمية في يوم الاربعاء، ١ أيار سـنة ١٩٢٠ وخطـب خطبة شـائقة حث بل حض المسلمين فيها على التمسك بيوم الجمعة، وان يتخـذوه عيدا كما يتخذ اليهود والنصارى السبت والاحد عيدا لهما.

ثـم انه وعد البغداديين ان يأتي في يوم الجمعة المقبلـة بعد الظهر الى بغداد ويخطب في جامع السـيد سلطان علي[٤] خطبة طويلة يسرد فيها للحاضريـن فضائل يوم الجمعـة. وما جاء في الاحاديث النبوية مـن التصريح باتخاذه عيدا واستحباب ترك الاشغال فيه.

(الخطيب المنتظر)

وعلى هـذا الموعد أخـذ الناس يذهبون سـاعة الميعاد الى جامع (السـيد سلطان علي) زرافات ووحدانـا. فأجتمعوا هنـاك منتظرين قدومه، وقد طال انتظارهم اياه الى ما بعد العصر ولم يأت.

ولما امتلأ الجامع اناسا والطريق[٥]، الذي امامه كاد ينقطع من شدة ازدحام الواقفين للانتظار ويئسوا من مجيئه تفرقوا خائبين.

وكان السـبب الذي منع السيد صالح ان يأتي عـلى الميعاد ويخطب بالقوم هـو تهيبه الحالة التي بلغـه عنها انها قد تـؤدي بموقفه بينهم تلك السـاعة الى اتهام الحكومـة اياه بالتدخل في السياسـة وتهييج الشـعب على الحكومة[٦]. وتجر الحال حينئذ الى مالا تحمد عقباه.

بيـد ان هذه الفكرة التي غرسـها هذا السـيد اللبيـب اخـذت تنمـو وتتوسـع اسـبوعا بعد اسـبوع لان القوم شرعوا يقيمون في كل جمعة بعد صلاة الظهـر في أحد الجوامع مع احتفال التلاوة قصة المولد النبوي (ص) ومأتما لقراءة (مناقب) سـبط (النبي) الإمام الحسين بن علي (رض). فكانـت هذه الحركـة المباركة جامعة للسـنة والشـيعة بصـورة وديـة لـم تتفق في القرون الاسلامية الماضية.

(الاحتفال الاول)

واول احتفـال اقامـوه مـن هـذا القبيـل كان احتفال جامع السـيد سـلطان عـلي وذلك في، ١٠ أيـار سـنة ١٩٢٠، وفي الجمعة التي تلتها اقاموه في جامع القبلانية[٧]، (في سوق الهرج)

وكان الجمع فيه عظيما بحيث زاد اضعافا مضاعفة على ما تقدمه.
ثم دخل شهر رمضان المبارك فزاد الطين بلة والطنبور نغمة اذ كان وروده لهؤلاء المتهيجين لحب الوطن كالمرهم للجرح لانهم وجدوا به وسيلة كبيرة الى نشر افكارهم واظهار مقاصدهم فشرعوا يقيمون في لياليه الاحتفالات بعد صلاة العشاء وقد ساعد على ازدياد المحتفلين تعطيل الاشغال ليلا حسب سنن الطبيعة.
وقد وجد المتذمرون من سيرة الحكومة المحتلة سلوة عظيمة لتفريج كربتهم وشفاء غليلهم وارتياح قلوبهم مما يسمعونه من الخطب الحماسية الوطنية الدينية التي تندد بالمحتلين وتجاهر بطلب الاستقلال التام.
كل هذا يجري والحماسة والتهيج في صدر العامة والخاصة من الوطنيين آنا فآنا.
وكان اول احتفال اقيم في رمضان احتفال جامع الميدان[٨]، وقد اجتمع فيه نحو العشرة الاف نسمة من الفريقين السنة والشيعة حتى ان جماعة كبيرة من علماء الكاظمية وأشرافها حضروه وكان زعيمها حضرة العلامة السيد محمد صدر الدين[٩]. وقد القيت فيه الخطب وانشدت القصائد وكلها لا تحيد عن الحماسة والسياسة كما ان الخطباء والشعراء الذين خطبوا وانشدوا في هذا الاحتفال وسائر الاحتفالات التي تقدمته والتي اقيمت بعده ليسوا من الطبقة العليا، بل ولا من الوسطى ولكنهم من صغار طلبة المدارس وممن لا يعرفون قبل هذا بين الناس بهذه المنزلة اللهم الا الشاعر الاجتماعي الكبير والخطيب المصقع الخطير الشيخ محمد مهدي البصير[١٠]، الذي تصدر للخطابة والانشاد في جميع الاحتفالات التي اقيمت منذ بدئها الى تاريخ كتابة هذه الرسالة.

(تنظيم الاهالي)

ثم فرض الاهلون من انفسهم على اهل كل محلة منهم ان يقيموا احتفالا بالتتابع في الجوامع التي في محلاتهم وتكون نفقة كل احتفال على اهل المحلة التي يقام في جامعها.
واول من اقتدى بهذا العمل اهل محلة الحيدرخانة فانهم أقاموا احتفالا كبيرا في جامع الحيدر خانة، وذلك في ليلة الاثنين وهي الليلة الخامسة من شهر رمضان الموافقة لليلة ٢٣-٢٤ أيار. وقد أناف الجمع فيه على ما سبقه. وهناك جاشت النفوس وضاقت الصدور من الخطباء والشعراء وهم اغرار كما اسلفنا فلم يطيقوا كتم ما يضمرونه نحو الانكليز من العداء بل جاهروا به غير هيابين ولا وجلين وقد زادهم نشاطا تحبيذ الشعب اعمالهم واستحسانه اقوالهم بحيث لا يلفظ احدهم لفظة الا ويكثر له الهتاف والتصفيق العجاج بحيث يجبر على السكوت من شدة الضجيج والعجيج وكان في تلك الليلة ما تلي من القصائد والخطب الحماسية السياسية شيءٌ مهولٌ.

(القصيدة النارية)

واعظمها واكثرها وقعا في نفوس المحتفلين قصيدة* انشدها ناظمها عيسى افندي الريزلي[١١] الاعظمي اذ فعلت في نفوس الحاضرين ما تفعل الخمرة بشاربيها. فخافت الحكومة المحتلة من سوء العاقبة وتجسم الامر الى حالة يصعب عليها بعد ذلك صدها.
فألقت القبض في عصر اليوم الثاني على عيسى افندي الشاعر المتقدم ذكره وحبسته في دائرة البوليس في خان دلة[١٢].
وكان ذلك العمل بإشارة بعض الخائنين موطنهم. ولما بلغ مسامع الأهالي خبر حبس عيسى قاموا جميعا على ساق وقدم واجتمعوا بواسطة المنادين الذين بثتهم الجمعية الوطنية ان ينادوا في القهوات والأسواق بما لفظه:
(شنو كعدتكم وعيسى حبسوه كومو اجتماع اسلامي عمومي في جامع الحيدر خانة).

(الإجتماع في جامع الحيدرخانة)

وكان الوقت حينذاك الساعة نحو الثالثة عربية مساء. فهب الناس من مقاعدهم وتركوا اشغالهم وساروا مسرعين جماعات وهم بين سائقين سائق التلهف على ما حصل وسائق التشوق والتطلع الى ما سيقع. وهذا اكثر. وبالضرورة عطلت القهوات والأشغال بأسرها فكنت ترى موج الناس المزدحمين في داخل الجامع وخارجه يلتطم كأنه البحر العجاج، هذا والواردون عليه (اي الجامع) يتكاثرون. وقد جاءت العامة من الأطراف البعيدة بطبولهم (بدماماتهم) وهوستهم: (الدين يا محمد والموت بالجهنم). فأخذوا الجامع طولا وعرضا ثم قام بعض الخطباء وخطب خطبة حماسية دينية دعا الناس فيها الى الأعتصاب على الحكومة واطلاق عيسى من معتقله بالقهر ان لم يكن بالرضا.

ولما شاهدت الحكومة المحتلة تجسم الشر وان الحالة جرت الى اعظم ممّا تصورته خافت على هتك حرمتها والتجاوزعلى كرامتها فأوقفت على دور قوادها وامرائها واداراتها الجنود الإنكليزية المحضة ولم تعد تأمن الجنود الهندية في هذه المواقع. ثم ارسلت اربع سيارات مدرعة لإرهاب الأهلين لعلهم يكفون برؤيتها عن هذا الإجتماع الذي ادهشهم فأوقفت سيارة امام الجامع المذكور، واخرى في رأس الجسر الشمالي العتيق[١٣]، واثنين في رأس الجسر الجنوبي الجديد المعروف (بجسر مود)[١٤]. وقد انقطع طريق الحيدر خانة على المارة في الجادة الكبرى من شدة الزحام.

ولما رأى المتعصبون السيارات المدرعة اخذوا يرمونها بالحجارة والحصى ويصفقون ويصفرون لها عند المرور استهزاء وسخرية بها.

(استشهاد النجار الأخرس)

وبعد لأي تعرض رجل اخرس نجار[١٥]، لسائق السيارة المدرعة وحاول ان يضربه بقنينة ماء الصودا فلما رأى السائق بلوغ الحالة الى هذا الحد حرك المديتين اللتين في جبهة السيارة لهذه الغاية فنزلتا كالصاعقة على كتفي ذلك الجاهل المسكين فخر صريعا لوقته ومرت عليه دواليب السيارة الثقيلة فسحقته سحقا ومات في الحال.

فأخذه عامة المتعصبين وادخلوه الجامع ونداؤهم:

(تعالوا صلوا على اخيكم الشهيد فقد قتله الإنكليز).

وكان قصد ذلك النداء اثارة الخواطر وزيادة التهيج.

ثم جاء علي افندي البزركان[١٦]، وهو احد دائري هذه الحركة ومسببيها وخطب بالقوم وقال ان اجتماعكم هنا لا يفيدكم شيئا ولا يجديكم نفعا وان كنتم تطالبون باطلاق عيسى فانتدبوا منكم مندوبين ينوبون عنكم بالمفاوضة مع الحكومة المحتلة ويطلبون اطلاق عيسى مع عرض مطاليبكم الوطنية الأخرى.

(مندوبو الشعب)

ثم قال ها انذا عارض عليكم اسماء رجال الوطن ليكونوا مندوبين عنكم فمن رضيتم عنه فأهتفوا له هتاف القبول. وما زال يعرض عليهم اسماء من اختارهم فكره وهم يجيبونه بالهتاف والتصفيق بدون رفض واحد منهم!، مع انه كان بينهم من لا يصلح للمندوبية وقد ترك من هو اصلح منه لها حتى بلغ عدد المندوبين الخمسة عشر مندوبا وكان هو نفسه احدهم[١٧] .

ثم بعد ذلك قال لهم انصرفوا الى محلكم ويلزمكم ان تحضروا غدا الساعة الثانية عربية صباحا ليحضر المندوبون انفسهم ايضا هنا ويقفوا على ما تريدون بأنفسهم ثم قال لهم: ويلزمكم ان لا تتعاطوا اي شغل كان ما طال عيسى في الحبس فأجابوه بالسمع والطاعة.

ثم قال قسم منهم اننا سنبيت هنا الى الصباح

ولا نريد الإنصراف الى اهلينا. فوافقهم القسم الباقي على ذلك.

(قذف الحاكم السياسي بالحجارة)

وفي هذه الأثناء مر الحاكم العسكري والسياسي لبغداد الكرنل بلفور[١٨]، بسيارته ليقف على الحالة بنفسه فرمى المتعصبون سيارته بالحصى والحجارة فأصابوه في وجهه، وحينئذ ثار الدم الإنكليزي في نفسه وأمر سائق السيارة المدرعة ان يطلق الرصاص في الهواء قصد الإرهاب.

واول ما ثارت رصاصة واحدة من تلك السيارة اخذ المتعصبون الرعب وخارت قواهم وراحوا يركضون بدون شعور يعثر بعضهم ببعض حتى ان الجادة الجديدة الكبرى على سعتها ضاقت بهم فكنت تراهم يدهدون (اي يدحرجون) الكراسي وتخوت القهوات التي قد وضعت بلصق الجدران كما يدهدي الصبيان الكرة بعصيهم.

اما الذين داخل الجامع من المتعصبين فلم يخرجوا منه بل ظلوا محصورين فيه حتى الصباح. وعندما طلعت الشمس وجدوا لهم طريقا للنجاة من الحصار فانهزموا متسللين وهم يلتفتون وراءهم غير مصدقين بالنجاة. وذهب كل منهم الى شغله وعمله لكي لا يظن انه من المتعصبين فيؤخذ بالسلاسل والأغلال.

وعند صلاة الظهر من ذلك اليوم اجتمع خلق كثير في جامع الحيدرخانة وصلوا جماعة، وبعد الصلاة احتفلوا بتشييع قتيلهم الأخرس النجار الذي اخذوا يدعونه (شهيد الوطن) وحملوه على الأيدي وطافوا به البلدة مارين من هناك الى باب الشيخ الى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني الى القنصلية الأمريكية ثم عبروا به جسر مود ومن هناك ذهبوا مارين على علاوي الحلة فسوق الجديد فالجعيفر فقهوات عقيل ومن ثم ذهبوا به الى الشيخ معروف الكرخي ودفنوه في مقبرته* وكان الجمع يأخذ بالإزدياد والتكاثر في كل مكان مروا وكنت ترى الأعلام السود منشورة امام نعشه وجوقة من حاسري الصدر يلطمونها حزنا عليه ونوحتهم. «ماج عرش الله واتزلزل عالشهيد الما تغسل».

وقد خافت الحكومة المحتلة من هذه الحركة والتشييع الذي اشبه بهيئة اعظم تشييع يقام لأكبر مجتهدي فقهاء الشيعة في العراق بحيث بلغ فيه عدد المشيعين ما ينيف على الثلاثة آلاف نسمة.

(الطائرات تحلق فوق رؤوس الثوار)

فارسلت (اعني الحكومة) كوكبة من الفرسان سارت امام المأتم واربع سيارات مدرعة خلفه وثلاث طيارات محلقة فوقه واوعزت الى الحاكم العسكري والسياسي ببغداد ان يرسل على الشيخ احمد ال الشيخ داود ومحمد جعفر آل (ابو التمن) والشيخ محمد مهدي البصير الحلي وعلي افندي البزركان[١٩] وان يهددهم ويتوعدهم بالضرر الفادح الذي يلحقهم ان استمروا على هذه الحالة وان يطلب اليهم في الوقت نفسه ان يفرقوا المشيعين للجنازة.

فأرسل عليهم وحضروا في دائرته في الساعة التاسعة عربية عصرا وخاطبهم بما امر به فأجابوه بكل برودة وعدم اعتناء وقالوا: نحن لا نقدر على تفريق المشيعين واذا كانت الحكومة موجودة فهي تفرقهم بمدافعها ومدرعاتها التي ساقتها أمامهم وخلفهم. ثم خرجوا من عنده وقد زادهم نشاطا على عملهم هذا فكان الحاكم في فعلته هذه كالفار من الشر اليه.

وفي اليوم الثاني وهو يوم الثلاثاء ٢٥ ايار ارسلت الحكومة عيسى افندي الريزلي الأعظمي الشاعر السجين الى البصرة كأسير.

(مطاليب الشعب)

وفي ٢٨ ايار سنة ١٩٢٠ قدم المندوبون عن الشعب وهم الذين رشحهم علي البزركان كما اسلفنا عريضة موقعة بأسمائهم طلبوا فيها من الحاكم الملكي العام السر اي . تي . ولسن ان يجيبهم الى مطالب الشعب الثلاثة وهي الرخصة بتأليف مؤتمر عراقي يكون انتخاب

اعضائه على الطريقة التي كان يجريها القانون العثماني قبل الحرب في انتخاب المبعوثين، والمطلب الثاني اطلاق حرية المطبوعات وفقا لقانون المطبوعات العثماني. والمطلب الثالث السماح بحرية المراسلات البرقية والمكاتبات البريدية في داخل العراق وخارجه. فكتب اليهم الحاكم الملكي العام جواب عريضتهم وخلاصته انه مستعد لملاقاتهم ومفاوضتهم في مطالب الوطنيين ومستقبل الحكومة العراقية، وانه رأى ان وفد المندوبين الوطنيين المتألف من خمسة عشر شخصا[٢٠]، لا يكفي للمفاوضة وحده في هذا الباب لان للبغداديين الآخرين حقا في بغداد ولهذا رأى ان ينتدب معهم واحدا وعشرين شخصا ليكون العمل أتم في هذا الإجتماع[٢١].

وقد ضرب للجميع موعدا للإجتماع وهو الساعة العاشرة زوالية من صباح يوم الأربعاء ٢حزيران سنة ١٩٢٠ فإجتمعوا في دائرة الحاكم العسكري والسياسي وقد ازدحم في تلك الساعة السكان على باب دائرة الحاكم العسكري، وفي الطريق المؤدية اليه واخذوا يهتفون ويصفقون التصفيق الشديد لمندوبيهم الخمسة عشر فقط كل ذلك تنشيطا لهم على ان لا يتراخوا بالأمر.

ولما اجتمع الحاكم الملكي العام والحاكم العسكري والسياسي لبغداد وناظر عدلية بغداد والرجال الوطنيّون الذين انتدبهم الحاكم الملكي العام للحضور تلا السيد حسين افنان المصري[٢٢]، خطاب الحاكم الملكي العام الذي كله تهديد ووعيد[٢٣].

(وعود الإنكليز)

ثم قام الجدال العظيم بين مندوبي الوطنيين والحاكم الملكي العام عن العراق وموقفه الحاضر وفي الأخير بعد مرور ساعتين على ذلك الجدال قر رأي جميع المندوبين على ان يؤلف مؤتمر وان تطلق حرية الصحافة وترفع المراقبة والمسؤولية عن المراسلات البرقية والمكاتبات البريدية. فأجابهم الحاكم الملكي العام الى الأثنين الأخيرين ولم يجبهم الى المطلب الأول بل قال لهم ان تأليف المؤتمر العراقي الذي تطلبونه ليكون مفاوضا مع الحكومة المحتلة في صيرورة العراق وترتيب حكومته في المستقبل ليس بيدي بل امر ذلك راجع الى الحكومة المركزية في لندن، وان اطلب مهلة شهرين للمراسلة والإستئذان في هذا الباب فلم يرض مندوبو الوطنيين بالشهرين واستكثروها.

وفي الختام اتفقوا على شهر واحد على الأكثر وخمسة عشر يوما على الأقل وانصرفوا وليس بأيديهم من تلك المواعيد شيء. فتلقاهم الناس الذين لهم بالإنتظار بالهتاف والتصفيق حتى لم يسعهم الا ان حملوا السيد محمد صدر الدين على الأكتاف لانه كان المحاج الأعظم لهم مع الحاكم الملكي العام وكذلك حملوا يوسف افندي السويدي رئيس المندوبين الوقتي الذي اسكت مناظريه من رجال الحكومة وبالخصوص الحاكم الملكي وناظر العدلية وادحض حججهم ببراهين ناصعة.

وتم الحال على هذا المنوال ولكن الجرائد وحرية المراسلات والمكاتبات الى الان لم تعط بها رخصة والان يوم عيد رمضان الموافق ١٨ حزيران ١٩٢٠ وكذلك لم يرد الجواب من لندن عن سؤالهم في تأليف المؤتمر العراقي. غير ان الأهالي ازدادوا حماسة لتلاوة قصة المولد النبوي وقراءة تعزية الإمام الحسين بن علي (رض) وفي الحقيقة ان تلك الإحتفالات الدينية التي اقيمت بعد ذلك في جامع الإمام الأعظم وفي صحن الإمامين الكاظمين وفي جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وفي جامع الشيخ الخلاني وفي سائر الجوامع البغدادية قد تحولت جميعها الى اجتماعات سياسية صرفة لا شائبة فيها وكلها تمزج السياسة بالدين مزجا وتصرح باسم الجامعة الإسلامية وتقوية المسلمين على اعدائهم وقد فاتت بكثير الخطب والقصائد في

موضوعاتها السياسية التهديدية ما قاله عيسى افندي السجين في قصيدته والتهيج والتحمس من الشعب والمجاهرة بعداء الإنكليز قد بلغ حده الأقصى الذي لا يؤمل ان يزيده زائد ما.

(الشيرازي يساند الثورة)

حتى ان المجتهد الأكبر الميرزا محمد تقي الشيرازي[٢٤]، نزيل كربلاء قد كتب كتابا الى محمد جعفر جلبي (ابو التمن) يثني فيه على قيام البغداديين بالمظاهرة السلمية امام الحكومة والمطالبة بالإستقلال. وقد اوصى فيه بأهل الذمة من الكتابيين النصارى واليهود وحفظ حقوقهم ومنع التعدي على حرمتهم وعدم مس كرامة الأجانب النزلاء بسوء والمحافظة على ما لهم من الحرية الشخصية والحقوق المدنية وقد تلي هذا الكتاب مرتين على رؤوس الأشهاد الذين كانوا محتفلين في صحن الكاظمين ليلة الجمعة ١٦ رمضان، وقد بلغ جمعهم العشرين الف نسمة. فكان له وقع عظيم في نفوس الحاضرين كما انه طمأن اليهود والنصارى من عدم التعدي عليهم من قبل المسلمين.

(احباط فتنة طائفية)

وقد اتفق على دعوة الإستقلال العراقي مع المسلمين والنصارى وقسم من اليهود أيضا ومن شواهد ذلك الإتفاق ان الإنكليز (على ما شاع وذاع بين النصارى انفسهم) ينوون ان يختلقوا وسيلة يتوصلون بها الى الفتك بأهل بغداد وقد اعدوا الفرصة المناسبة لذلك يوم عيد الجسد[٢٥]. وقد دبروا تلك المكيدة الشنيعة وهي انهم يأتون بعدة رجال من البوليس الوطني او من خادمي افكارهم من المسلمين ويلبسونهم ثياب العلماء الإسلامية وعمائم بيضاً ويعطون كل واحد منهم مسدسا ويتركونهم يندسون مع المتفرجين حتى اذا مرت الحفلة في الجادة الكبرى هجموا عليها وقتلوا من صبيانها وصباياها بضعة انفس وبذلك يتسنى للحكومة ضرب الأهلين والمطالبة بحفظ الأقلية باسم الدين.

ولما طرق خبر هذه المؤامرة الفظيعة مسامع النصارى خافوا على اولادهم وبناتهم من القتل فأوعزوا الى رؤسائهم الروحيين انهم لا يرسلون بناتهم وبنيهم للإشتراك باحتفال عيد الجسد الا اذا كان الإحتفال لا يخرج عن المحلة التي في دائرة الكنائس الأربع اللاتين والسريان والأرمن والكلدان[٢٦].

فاخبر آباء الكنائس الحكومة بتصميم الشعب النصراني على عدم الاحتفال اذا كان يقصد به المرور في الجادة كالسنة الماضية فأصرت الحكومة على المرور وطالت المفاوضة بالمسألة مكاتبة ومشافهة اربعة ايام وهي بين الاخذ والرد وفي الاخير اجبر الشعب النصراني الحكومة على الانقياد لارادته وموافقته في مقاصده. ولما سمع المسلمون بهذه الحالة ونوايا الحكومة السيئة ارادوا ان يزيدوها غيظا على غيظ فأجتمعوا في يوم الإحتفال[٢٧] الذي وقع في عصر الاحد ٦ حزيران وساروا جمعا واحدا الى كنيسة الكلدان حيث يكون الشروع بهذا الاحتفال المقدس فيها واشتركوا فعلا بالإحتفال مع النصارى ولم يكتفوا بذلك بل انقسموا الى قسمين قسم اشترك بالإحتفال والقسم الآخر وقف صفين على الطريق الذي تقرر ان يمر منه المشهد ففرشوه بالسجاد النفيس وحملوا بأيديهم الورود الكثيرة المختلفة الألوان وماءها ايضا.

(اتفاق الإخوة)

ولما مر مشهد المحتفلين من بينهم اخذوا ينثرون عليهم الأوراد ويرشون ماءها ويهتفون لهم مع التصفيق القاصف بقولهم (ليدم مجد السيد المسيح. ليحي آباء الكنيسة، لتعش الجامعة الوطنية، ليدم الأتفاق العراقي، ليحي اخواننا المسيحيون، لتحي الجامعة القومية). فكنت تسمع قسوس النصارى مع تابعيهم يحيون المسلمين هاتفين بقولهم (ليحي اخواننا المسلمون، ليعش العرب) كما انك كنت تشاهد

الإنكليـز الذين اشـتركوا في الحفلـة يتميزون غيظا من جراء هذه الحالة عليهم وقد حاروا في فلسفة هذا الإتفاق الغريب الذي لم يقع حسب ما ذكر التاريخ منذ بدء الإسلام الى يومهم هذا.

●الهوامش:

(١) يشـير هنا الى ثورات النجـف وتلعفر والمظاهرات التـي اندلعت في بغـداد وغيرها من المـدن لتأييد هذه الثورات عامي ١٩١٨و١٩١٩.

(٢) يخنع: يخضع أو يستكين.

(٣) السـيد صالح الحلي: هو ابو المهدي السيد صالح بن محمد بن حسين الحسني الحسيني الحلي. خطيب شـهير واديب لبق. ولد في الحلة عام ١٢٩٠هـ ونشـأ فيهـا ولم يكد يبلغ الثامنة عشر من العمر حتى هاجر الى مدينة العلم النجـف الاشرف واتجه الى طلب العلم من اهله فتلقاه على يد ثلة من العلماء اشـهرهم الشيخ عبد الحسـين الجواهري والشـيخ سعيد الحلي والسيد عدنان شبر والشيخ ملا كاظم الخراساني.

واشتهر السيد صالح بالوعظ والخطابة اكثر من غيرها حيث كان يرقى المنابر الحسينية ويتكلم بطلاقة ولهذا فقـد التف حوله الكثيرون. وفي سـنة ١٣٢٩هـ هاجر مـن النجف الى بغـداد فاختـار الاقامـة في الكاظمية حتى اذا سـقطت بغداد بيد الانكليـز كان اول الناس الداعين الى محاربة الاحتلال بما كان يلقيه من الخطب الحماسـية. وعلى اثر الثورة العراقية ابعدته السلطات المحتلة الى البـصرة ثم الى الهند وعندما عاد من المنفى رجع الى الكوفة وبقي فيها الى ان توفي في ليلة السـبت ٢٩ شـوال عـام ١٣٥٩ الموافق لسـنة ١٩٤٠. وحمل نعشـه الى النجف فدفن فيها حسـب وصيته. (للمزيد راجع شعراء الحلة ج٣).

(٤) جامع السيد سلطان علي: جامع مشهور في بغداد لا يـزال قائمـا الى اليوم ويقع على الضفـة اليمنى من نهر دجلـة في جانب الرصافة في محلـة المربعة ويطل على شارع الرشيد. وقد رممت تربته اخر مرة في العهد الملكي سنة ١٣٤٥هـ (١٩٣٥م) كما مذكور في رخامة موضوعة فوق باب الجامع.

(٥) هو الشـارع المعروف اليوم بشارع الرشيد وكان سـابقا يسـمى بالجادة الجديدة وقبلها كان يسـمى جـادة خليل باشـا، الوالي العثماني الـذي امر بفتحها عام ١٩١٦.

(٦) مـن هذا يتضـح ان الحكومـة البريطانية المحتلة كانت عـلى علـم بالاجتماعـات التي كانت تـدور بين الاطراف الوطنية، وهذا ما منع السيد صالح للمجيء. خوفاً من ان تتهمه واخرين بالتكتل السياسي ضدها.

(٧) جامع القبلانية: هو مسـجد علي بن احمد العلوي الزيـدي المتوفى سـنة ٥٧٥هـ ودار كتبـه ويقع حاليا في محلة باب الاغا (وكانت سـابقا تسـمى محلة سوق الثلاثاء) في داخل سـوق البزازين، وفي سنة ١٢٠٥هـ جـدد عمارتـه والي بغـداد سـليمان باشـا الكبير كما مكتوب على الحجر فوق باب الجامع.

(٨) جامع الميدان: ويسمى ايضا جامع الاحمدي الواقع في محلة الميدان بجانب الرصافة. سمي بذلك نسبة الى بانيه احمد باشـا كتخدا سليمان باشا الصغير. واحمد باشـا مات مقتولا سنة ١٢١٠هـ وبعد قتله قام اخوه عبد الله بك فأتم بناءه سنة ١٢١١هـ.

(٩) السـيد محمـد صـدر الديـن: هو السـيد محمد الصدر بن الحسـن الصدر الكاظمي وينتهي نسبه الى الامام موسى الكاظم. ولد في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) وساهم مساهمة فعالـة في احداث ثـورة العشرين وكان مـن اعضائها البارزيـن. وقـد تقلـد رئاسـة الـوزارة العراقية عام ١٩٤٨. كما انتخب عدة مرات عضوا في مجلس الاعيان العراقي. توفى في ٢-٤-١٩٥٦ ودفن بالكاظمية.

(١٠) الشيخ محمد مهدي البصير: احد اقطاب الحركة التي نـادت بتحرير العـراق من الانتـداب البريطاني وشـاعر ثورة العشرين الاول وهو شـعلة ذكاء وقادة وفي شـعره كثـير من روحـه الوطنية الوثابـة. ولد في الحلة الفيحاء سـنة ١٣١٣هـ الموافق لسـنة ١٨٩٦م مـن اسرة دينية اشـتهر منهـا بضعة رجـال في العلم والادب وقـرأ عـلى جملة مدرسـين قديرين شـيئا من

النحـو والصرف والمنطق. بارح الحلة مسـقط رأسـه وجـاء عاصمـة العراق وظـل فيها يخدم أمتـه بالقاء الخطـب والقصائد الوطنية وقد كان في عمله هذا تأثير كبير في بث الحماسـة الوطنية وتحبيب الاسـتقلال الى ابناء الامة. سجن مرة في بغداد واخرى نفي الى جزيرة هنجـام لاشـتراكه الفعـلي في التدابير السياسـية التي قامت للتمهيد لإندلاع الثورة.

وقد ارسـل عام ١٩٣٠ الى باريس فحصل على شهادة الدكتوراه وعاد الى بلاده. وله عدة مؤلفات اهمها كتاب تاريخ القضية العراقية في مجلدين وديوان شعر باسم البركان واخر باسـم الشـذرات وكتـاب نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر وغيرها.

*تجد هذه القصيدة في كتابنا تركيا وانكلترا في العراق. (هذا قول الدجيلي ولم نعثر على كتابه المذكور) الا اننا وجدنا هذه القصيدة منشورة في كتاب مقدرات العراق السياسـية جـ٣ ص٤٢٣ لمؤلفه محمد طاهر العمري واليك مطلعها:

بني النهرين نسل الطيبينـــا
افيقوا واسمعوا حقا يقينـــا
تفرقنا شعوبـــا واختلفنـا
فاصبحنـا جميعا صاغرينـا
واسلمنا باجمعنـا لقـــوم
بغـــاة من طغـاة جائرينـا
فجاروا واستعدوا ما استطاعوا
وذا شأن البغـــاة الظالمينـــا

(١١) عيسى افندي الريزلي: هو الشاعر المطبوع عيسى بـن عبد القادر بن احمد الريـزلي الاعظمي ولد ببغداد عام ١٨٩٨ وشغل عدة وظائف في ديوان الاوقاف منها مدير الحسـابات ومدير الديوان. وقد نفي الى البصرة لمدة سـنة واحدة على اثر إلقائه قصيدته المشـهورة في جامع الحيدرخانة والتـي حث فيها اخوانه المجتمعين عـلى الثورة بوجـه الانكليز. وعند مجـيء الملك فيصل الاول الى العراق عاد الشـاعر المذكور الى بغداد بعد ان قضى اكثر من سنة في البصرة.

(من حديث دار بيني وبين الشاعر المذكور اثر مقابلتي له يوم ٦-٧-١٩٧٢).

(١٢) خـان دلة: احد خانات بغداد المشـهورة سـمي باسـم مالكه عبد القـادر افندي دلـة وكان قد اتخذه المحتلون حبسـا لأحرار العراق ومعتقلا لهم. يقع هذا الخان في داخل سـوق الأقمشـة (البزازيـن) ولا يزال قائما حتى اليوم.

(١٣) هو الجسر المعروف اليوم باسم جسر الشهداء.

(١٤) جسر مود ويعرف اليوم باسم جسر الأحرار.

(١٥) النجـار الأخـرس : هـو عبـد الكريم بن رشـيد الأخـرس وكانـت مهنته النجـارة وقد دهس بسـيارة الحاكم السـياسي المسـتر بلفور حينما مر بالقرب من جامع الحيدر خانة. وقد استولت الحكومة على جثمانه ووضعته في خان دلة. وبعد مباحثات مع الحكومة نقل الى جامـع الحيـدر خانة حيث كفن وشـيع من هناك بموكب مهيب يضم الالاف الى مقبرة معروف الكرخي.

(١٦) علي البزركان: هو مؤسـس المدرسة الأهلية (هي مدرسـة التفيض اليـوم) وأحـد الذين أنشـأوا حزب الإستقلال السـياسي السري في نشـأتيه الأولى والثانية واحد الأعضاء البارزين والمساهمين في ثورة العشرين. ولد في بغداد سـنة ١٨٨٥ وتـوفى يوم الإثنين المصادف ٢٥ تشريـن الأول عـام ١٩٥٨ . وكان قد انتخب مديرا للبلديـة في بغـداد ومعاونا لأمين العاصمة بعد انشـاء الحكم الأهلي الملكي سنة ١٩٢١ .

(١٧) ذكـرت جريدة العـراق البغدادية اسـماءهم في عددهـا الثالث المؤرخ في ٣ حزيران سـنة ١٩٢٠ وهم: العلامة السيد محمد الصدر، العلامة السيد ابو القاسم نجل آية الله الكاشاني (وقد اناب عنه السيد عبد الهادي جلبـي جواد)، يوسـف افندي السـويدي، عبد الوهاب النائب، سـعيد افندي النقشبندي، السـيد عبد الكريم الحسـني ال السـيد حيدر، محمد مصطفـى الخليل، عبـد الرحمن باشـا الحيـدري، فؤاد الدفـتري، رفعت الجادرجـي، احمـد الشـيخ داود، ياسـين الخضيري، احمد الظاهر، جعفر ابو التمن، علي البزركان.

(١٨) الكرنـل بلفور: ضابط سـياسي بريطاني رافق الحملـة العسـكرية الى العـراق وكان سـنة ١٩٢٠

حاكمـا سياسـيا وعسـكريا لبغـداد. وكان مسـؤولا عن مفاوضـة الزعمـاء الوطنيين في اثنـاء المظاهرات والحركات السياسية التي عمت بغداد قبيل اندلاع نار الثورة العراقية: وهو غير المسـتر بلفور رئيس الوزارة البريطانية التي اعطت الوعد المشؤوم للصهاينة.

(*) ان هذا العمل اشبه بالعمل الذي عمله السنة قديما بقتيلهم حين قتله الشـيعة في بغداد حسبما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٣هـ – ١٠٥١م من تاريخه. (راجع تفاصيل هذه الحادثة في صفحة ١٩٩ من تاريخ ابن الأثير المجلد التاسع المطبوع بمصر سنة ١٣٠١هـ – ١٨٨٣م وهي بعنوان «ذكر الفتنة بين العامة ببغداد»). المحقق.

(١٩) هـؤلاء الأربعـة هم ابـرز اقطاب ثـورة العشرين والمشاركين فيها والمنظمين لها والمتحملين وزرها.

(٢٠) راجع الهامش (١٧) من هذه الرسالة تجد اسماء هؤلاء المندوبين.

(٢١) ذكرت جريدة العراق بعددها المرقم ٣ والمؤرخ في ٣ حزيران سـنة ١٩٢٠ اسـماء ٢٠ شخصا فقط وهم: ١- السيد محمود افندي النقيب. ٢- السيد داود افندي النقيـب. ٣- عبـد الحميد بك الشـاوي. ٤- عبد القادر باشا الخضيري. ٥- السيد محمد حسن جلبي الجوهر. ٦- الشـيخ شـكر قاضي الجعفريـة. ٧- صالح افندي الحلي. ٨- الحاج علي الألوسي (اعتذر عن الحضور). ٩- عبد الجبار باشا خياط. ١٠- خسرو افندي قيومجيان. ١١- ساسون افندي حسقيل. ١٢- عزرا افندي مناحيم دانييـل. ١٣- يهوذا افندي زلـوف. ١٤- محمود جلبي الأطرقجي. ١٥- محمود جلبي الشـابندر. ١٦- السيد جعفـر عطيفة. ١٧- محمود جلبي الأسـترابادي. ١٨- الحـاج عبد الحسـين الجلبي. ١٩- عبـد الكريم افندي الجلبي. ٢٠- جميل صدقي الزهاوي.

(٢٢) حسين افنان: هو حسين بن علي افنان وامه اخت عباس عبد البهاء وهو سبط مؤسس البهائية بهاء الله. ولد في حيفا سنة ١٨٨٩ ودرس في الجامعة الاميركية في بيروت وبعد ذلك في جامعة كمبرج واختص بالأقتصاد السـياسي وعين مترجما في دار البريطانـي في القاهرة قبـل الحرب العالمية الاولى وكان في اثناء الحرب العامة الاولى معاون امر المعتقل للاسرى العراقيين في سمربور في الهند. ثم جـاء الى بغداد بعد الهدنة، فعين بمنصب في ديـوان الحاكم الملكـي البريطاني. ثم اصدر جريدة الـشرق في بغداد في ٣٠ اب ١٩٢٠ وظـل يصدرها الى ان عين سـكرتيرا لمجلس الوزراء في تشرين الثاني من عـام ١٩٢٠ على اثـر تأليف حكومة النقيـب الوقتية، ونقل مديرا للتشريفات بوزارة الخارجية سـنة ١٩٢٥ فسكرتيرا للمفوضية العراقية في لندن سنة ١٩٣٠ كما مثل العراق في عصبة الأمم ونقل سـكرتيرا للمفوضية العراقية في انقرة سنة ١٩٣٢ ثم ترك السلك الخارجي وعـين في ادارة السـكك الحديدية العراقيـة. وتوفى في بيروت في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٠ .

(٢٣) نـشر هـذا الخطاب في العـدد الثالث من جريدة العراق البغدادية عام ١٩٢٠ .

(٢٤) الميرزا محمد تقي الشـيرازي: هو المرجع الديني الأعلى للشـيعة ولد في شـيراز وتلقى علومه ودروسـه الدينيـة في مدينة سـامراء حيث تخرج عـلى يد الإمام الكبير السيد ميرزا حسن الشيرازي وقد امضى المترجم له رحمه الله معظم عمره في سامراء الا انه قضى الأربع سـنوات الأخيرة مـن حياتـه بكربـلاء. وكان المرحوم الشـيرازي مزاحمـا للسـيد كاظم اليـزدي في الزعامة الدينيـة والمذهبية للاماميـة فلما توفي السـيد اليزدي كان السـيد الشـيرازي اكبر مجتهد ترجع اليه الشيعة في العراق وايران والهند فكان يسـتخدم هذه السلطة الدينية الواسـعة في تأييد المسـألة العراقية. وقد انتقل الى جوار ربه في ١٧ اب سنة ١٩٢٠ لمرض لازمه حقبة من الزمن.

(٢٥) عيـد الجسـد: هو عيـد مقدس عند المسـيحيين يحتفلون به كل عام.

(٢٦) تقع هذه الكنائـس الأربع في المنطقة المحصورة بين عقد النصارى وسوق الشورجة.

(٢٧) تجـد وصف هـذا الاحتفال منشـورا في جريدة العراق البغدادية في العدد ٧ من السـنة الاولى الصادر في ٨ حزيران سنة ١٩٢٠.